حكام مصر ملتصقون بكراسي السلطة رغم الانتكاسات

الخميس 1 يناير 2004 12:01 م

2008 / 11 / 05
ميدل ايست اونلاين
القاهرة - من جوناثان رايت

وسط طوفان الازمة المالية العالمية والتغيير في البيت الابيض والصراعات المتعددة بدون حل في الشرق الاوسط يقف الرجال الذين يحكمون مصر بأقدام ثابتة كأنما لم يحدث تغيير يذكر.

وفشلت أربع سنوات من النمو القوي والتحرير الاقتصادي في رفع مستويات معيشة المواطنين الاشد فقرا واستمر تراجع النفوذ الاقليمي للبلاد في حين تمضي الحكومة قدما بدون أي التزامات خارجية.

وجنبا الى جنب سارت وعود الانفتاح السياسي مع الاعتقال بدون محاكمة لاعضاء المعارضة ومحاكمة محرري الصحف المستقلين والمدونين.

لكن الصفوة الحاكمة رابطة الجأش تجمعت في المؤتمر السنوي للحزب الوطني الديمقراطي الذي بدأ السبت وأنهى أعماله الاثنين تحت شعار "فكر جديد.. لمستقبل بلدنا".

ومع ذلك بدت الافكار والسياسات الجديدة شحيحة. بل ان المؤتمر لم يلق ضوءا جديدا على التكهن الطويل بمن سيخلف الرئيس حسني مبارك الذي يبلغ من العمر 80 عاما ويتولى رئاسة الدولة منذ 28 عاما.

وقالت المحللة السياسية ورئيس تحرير مجلة الديمقراطية التي تصدر عن مؤسسة الاهرام هالة مصطفى "كل المؤتمر (...) يعكس الاستمرار أكثر من التغيير وأظن انه سيستمر على هذا النحو".

وفي مؤتمر العام الماضي أصلح الحزب هيكله على نحو يجعل من المستحيل تقريبا على أي أحد اقامة دعوى أمام القضاء ضد حق السياسي جمال مبارك ابن الرئيس في ترشيح نفسه لمنصب رئيس الدولة اذا قرر أن الوقت حان لذلك.

لكن بدلا من اعطاء جمال مبارك دفعة اكبر نحو الرئاسة شهد مؤتمر العام الحالي نداءات من القاعة تطالب مبارك الاب بأن يسعى لفترة رئاسة جديدة مدتها ست سنوات في عام 2011. وسيجعل ذلك مبارك رئيسا الى سن التاسعة والثمانين.

وقال مبارك لمتحمس حزبي صاح طارحا هذا الاقتراح "ان شاء الله".

ويمكن تفسير الرد اما بالامل في ذلك أو نفيه كفكرة لا يرحب بها

ويوم الاحد رفض جمال مبارك (44 عاما) وهو قيادي في الحزب الانجرار الى القول ان والده يعتزم ترشيح نفسه مرة أخرى عام 2011 حين تنتهي فترة رئاسته الخامسة

وقال "لا أعرف ان كانت مصر فريدة في هذا الموضوع هذا السؤال يتكرر من بعد الانتخابات الرئاسية الاخيرة هل هناك بلد أو حزب يحدد قبل انتخاباته بست سنين أو أربع سنين ويقول هذا هو مرشحي".

وأضاف "لا أعتقد أننا مطالبون (في وجود) ثلاثة أعوام قبل انتخابات (الرئاسة) بأن نرد على هذا السؤال بالشكل الذي تريدون منا أن نرد به عليه".

وقالت هالة مصطفى وهي عضو ساخط في لجنة السياسات في الحزب التي يرأسها جمال مبارك "أعتقد أنه اذا بقي مبارك على قيد الحياة (الى عام 2011) فسيرشح نفسه مرة أخرى".

وصار جمال مبارك شيئا ثابتا في الصفحات الاولى للصحف التي تملكها الدولة خلال الشهور القليلة الماضية لكنه في هذه المرة كان في ثياب المتخصص الاقتصادي الذي يطمئن المصريين الى أن البلاد يمكنها أن تخرج سليمة من الازمة المالية العالمية

لكن مؤتمر هذا العام لم يعط جمال مبارك حتى أقل دعم لسعيه الواضح لرئاسة أكبر دولة عربية سكانا

وبقي التسلسل القيادي الحزبي على ما هو عليه بمن في ذلك الحرس القديم الذي يعتقد محللون أنه يعمل مثل كابح لخطط الحكومة الخاصة بدفع التحرير الاقتصادي قدما

وعلى أي حال فان هذه الخطط متوقفة في الاساس لان السوق الراكدة لا تحفز على عمليات خصخصة جريئة يمكن أن تضيف الى البطالة أو تقوي حجة المعارضة التي تقول ان الحكومة تبيع شركات الدولة بثمن بخس لتابعيها من رجال الاعمال

وبعد تفاقم الازمة المالية العالمية قال وزير الاستثمار محمود محيي الدين وهو أحد الليبراليين الاقتصاديين حول جمال مبارك ان مصر لم تكن "رأسمالية" في أي وقت وان دوره هو ادارة ممتلكات الدولة وليس تصفيتها

وركز الحزب في مؤتمر هذا العام على مفهوم "العدالة الاجتماعية" احياء لخططه القائمة منذ وقت طويل والخاصة بالتعامل مع دعم الغذاء والوقود بحيث يصل الى الفقراء مباشرة بدرجة اكبر

لكن صورة الحزب والحكومة لدى المواطنين تعاني من مشكلات خطيرة بعد سلسلة من الاحداث المؤسفة هذا العام ومنها النقص في الخبز خلال فصل الربيع واضطرابات عمال الغزل والنسيج وانهيار صخري تسبب في مقتل اكثر من 100 من سكان منطقة عشوائية بالقاهرة

وفي الشهر الماضي فقد الحزب وهو أقرب لشبكة تقوم على التعاضد المتبادل من كونه أداة للتعبئة السياسية ماء الوجه مرة أخرى بمحاكمة عضو بارز فيه متهم بدفع مليوني دولار لضابط شرطة سابق لقتل مغنية لبنانية في دبي

وينكر قطب العقارات هشام طلعت مصطفى وهو أيضا عضو في مجلس الشورى التهمة ويقول انه استضاف المغنية سوزان تميم لشهور طويلة في القاهرة كعمل انساني وانه عرض عليها الزواج في وقت من الاوقات

وفي الساحة الخارجية فقدت مصر التي كانت ذات وقت قوة اقليمية مهيمنة بلا منازع دورها لمصلحة لاعبين جدد خاصة السعودية ومن هؤلاء اللاعبين أيضا قطر الدولة الخليجية الصغيرة التي نشطت كوسيط بين العرب

وتقل رحلات مبارك الخارجية بصورة متزايدة ولم يسافر الى الولايات المتحدة منذ عام 2002. وليس لوزارة خارجيته سوى أثر ضئيل على

النزاعات الاقليمية في العراق ولبنان كمثال

وتفيد استطلاعات الرأي أن الحكومة المصرية قريبة من الولايات المتحدة وأوروبا أكثر مما يريد الشعب المصري

ودافع جمال مبارك يوم الاحد عن سياسة مصر الخارجية وقال في اشارة الى الشعور القومي والاسلامي الموجود في مصر ان هناك من يعتقدون أن أولويات الاصلاح تتطلب "مواجهة مع العالم الخارجي" ويؤمنون باللعب على عواطف الشعب بالشعارات